الفصل الرابع

الوحي وماهيته ، وهل نحتاج إليه؟

إن الإنسان الذي وصل بعد بحث عقلي عميق إلى الإيمان بالله عز وجل ، يجد مشكلة ثانية تتوقفه بإثارة أسئلة عدة . . . والكثير من العلماء المفكرين المنصفين في مجتمعات العالم اليوم قد برهنوا للبشرية وبمنطق سليم عن عمق إيمانهم بخالق الكون وعلى سبيل المثال رئيس أكاديمية العلوم في الولايات المتحدة الدكتور كريسي مريسون وأستاذ السوربون ورئيس قسم العلوم الفيزيائية الدكتور ليكونت دي نوي ، وكتاب الله يتجلى في عصر العلم الذي كتب فيه ثمانية وعشرون من علماء العالم بأدلة علمية ليدل دلالة واضحة لمن يريد الحق على عمق الإيمان وكثرة أدلته . . .

وعلى الذين بلغوا هذه المرحلة أن يتمموها بسؤالهم الثاني : ما هو الوحي ؟ وما دور النبي ؟ وهل نحن بحاجة إليه ؟ وماذا يزيد الوحي على العقل ؟ وهل الإيمان بالوحي متمم للإيمان بالله ؟

ماهية الوحي

المعنى اللغوي : (الوحي يطلق في اللغة على مطلق الإعلام ، غير مقيد ذلك الإعلام بأحد معين يلقيه ولا بمستقبل معين يلقى عليه . كما أنه غير مقيد ذلك الإعلام بطريق معين من طرق المعرفة . كالرمز أوالتعريض أو الإلهام أو الكتابة أو الكتاب أو الكلام)[1] .

المعنى الشرعي : (هو إعلام الله إلى أنبيائه) فلا يكون مصدره إلا من الله ولا يتلقاه إلا نبي لرب العالمين فهو متميز إرسالاً واستقبالاً وله صفته الخاصة . وضرورته أنه يستحيل أن يتقبل الإنسان فكرة وجود الخالق المدبر الحكيم دون أن تترافق مع الإيمان برعاية الخالق لخلقه وتدبيره المستمر للكون ، فإذا أيقنت بوجود الله ، فمن البدهي أن تؤمن بأن الإله سيرسل للبشرية ما يدلها إلى طريق سعادتها ومسلك عدالتها ودروب الحق لتتخذها دروباً لها ، لأنه ليس من الضروري أن يكون كل ما في العقل كافياً لتخطيط نمط الحياة المثلى . بل وجد الوحي ليواكب العقل . وما خالفت الرسالات السماوية الصحيحة التي لم يعترها التزوير الحقائق التي أثبتها العقل السليم المعتمد على تفكير علمي

---

(١) ابن حجر في فتح الباري ج١ ص٩ .

منظم . . . بالإضافة إلى أن لكل من العقل والوحي ميدانه الخاص في كثير من المسائل . فإذا استطعنا بالمنطق التجريبي والرياضي التوصل إلى حقائق الكون والحياة ، فإننا لا نستطيع بغير الوحي أن نتوصل إلى حقائق ما وراء الطبيعة التي أصبحت حقيقة لا مراء فيها فالعلم بذات الله وصفاته ، والطرق الموصلة لرضائه ، وطاعته وامتثال أوامره وكل ما يتعلق بعالم الغيب لا يعرف إلا عن طريق الوحي .

وإن الوحي ما هو إلا ري لما في النفوس من ظمأ محرق للوصول إلى الحق ، وقد أضاء الوحي للجذوة الكمينة المقدسة في أغوار النفس دروب الحياة الصحيحة لتصل إلى الحق الكامل بأسهل طريق دون أن يتحطم العقل في كثرة افتراضاته دون جدوى . وما كان الوحي إلا رحمة إلهية ، يشير إلى العقل التائه ، هذا الطريق الحق ، فانظر في بدايته واسلك دربه ودل الحيارى عليه وعرفهم كنه الحقيقة بل ملكهم الحقيقة كلها . . . وإياك أن تبتعد عني ، فابتعادك عني ضياع ومثلك كمثل رجل في فلاة ضلَّ عن مرشده ظاناً نفسه قبل ذلك أنه بامكانه النجاة من المفازة وإذ به يجد نفسه يصل حيث بدأ وينتهي حيث انطلق . . .

وما كان الأنبياء إلا عقولاً مفكرة حكيمة باحثه عن الحق ، ليرشدوا الناس إلى كل مكرمة وفضيلة تسمو بهم وتعرج بمجتمعهم

نحو العدالة المطلقة والمساواة والإنسانية .

ولولا الوحي المتتابع بدءاً بآدم وانتهاء بمحمد لبقينا في عهد سفه ، وعهد ليس لليله صبح وما أرسل الأنبياء إلا ليلقي الله إليهم بحقائق الكون اليقينية العليا ، كي يبلغوها للناس ، وقد يصل العلم إلى إدراك بعض هذه الحقائق ، ومعرفة أسرارها وسننها بعد أجيال وقرون ، ويظل بعضها لا يتناوله العلم حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وهي مع ذلك حقائق يقينية تهدي قلوب المؤمنين الصادقين إلى حقيقتها على حين تظل قلوب عليها أقفالها ، جاهلة بها ، لغفلتها عنها . وعلينا أن نناقش البحث عن طريق المنطق العلمي المحض فالعلم الحديث قد أوجد في جامعات العالم اختصاصاً كاملا اسمه (علم الروح) وهذه جامعات أكسفورد وكمبردج وجامعة في الولايات المتحدة تبحث الروح بشكل علمي وتحاول الوصول إلى نقاط غامضة فربما تصل ولربما تحتاج إلى قدرات لا تملكها البشرية وهذه صحيفة الأهرام بتاريخ أول مارس سنة ١٩٦٣ تكتب ما يلي :

إن عالماً روسياً من لينغراد كتب يقول (لقد اقترب الوقت الذي يستطيع العلم فيه الوصول إلى أسرار الروح كما وصل من قبل إلى أسرار الجسم عن طريق التشريح) ولا يهمنا الشطط في مناقشة هؤلاء على إمكانهم معرفة الروح أم لا . . . . ولكن هذا اعتراف

علمي بوجود عالم الروح . . . وما الوحي إلا امتداد لعالم الروح . . . وهنا علي أن أنبه الأذهان إلى أن عالم الروح ليست مكاناً كالكواكب والنجوم وإنما هو عالم أثيري قد يراه شخص معين ولا يراه شخص آخر . ذلك لأن الأول لديه القدرة الروحية التي تمكنه من رؤيته والثاني ليس لديه تلك القدرة والأنبياء هم أصحاب القدرات الروحية والفكرية العالية . . .

ظاهرة الوحي عند محمد :

وإن دراسة الأحوال المباشرة التي كان يظهر فيها الوحي لمحمد بن عبد الله لتدل على أمر غير عادي وإنها لظاهرة عجيبة وكانت تبدو على وجهه الكريم في كل مرة حين يلتقي بالوحي وكان أمرها لا يخفى على أحد ممن ينظر إليه ، فكانوا يرونه قد احمر وجهه فجأة وأخذته البرحاء حتى يتفصد جبينه عرقاً ، ويثقل جسمه ، وكانوا مع ذلك يسمعون من حوله أصواتاً مختلطة تشبه دوي النحل ثم لا يلبث أن تسري عنه تلك الشدة فإذا هو يتلو قرآناً جديداً وذكراً محدثاً .

فلننظر في هذه الظاهرة : هل كانت شيئاً متكلفاً مصنوعاً وطريقة تحضيرية يستجمع بها الفكر والروية ، أو كانت أمراً لا دخل فيه للاختيار ؟ واذا كانت أمراً غير اختياري فهل كان لها في داخل النفس منشأ من الأسباب الطبيعية العادية ، كباعثة النوم ، أو من

الأسباب الطبيعية الشاذة كاختلال القوى العصبية أو كانت انفعالاً بسبب خارجي منفصل عن قوى النفس ؟[1]

وإن نظرة واحدة نلقيها على عناصر هذه الظاهرة لتهدينا إلى أنها لا يمكن أن تكون صناعة وتكلفاً ، وبخاصة لو تأملت تلك الأصوات المختلفة التي كانت تسمع من حوله وأيضاً لو كانت صناعة وتكلفاً ، لكانت طوع يمينه ، فلو شاء يوماً أن يأتي بقرآن جديد لجاء به من هذا الطريق الذي اعتاده في تحضيره . مع أنه كثيراً ما التمسه في أشد أوقات الحاجة إليه كحادثة الإفك التي أقلقته شهراً كاملاً وسؤال قريش واليهود . . . فكان لا يظفر بالوحي إلا حين يشاء الله . فهي إذن حال غير اختيارية . ثم إننا نرجع البصر كرة أخرى فنرى البعد شاسعاً بينها وبين عارض السبات الطبيعي الذي يعتري المرء في وقت حاجته إلى النوم ، فإنها كانت تعتريه قائماً أو قاعداً سائراً أو راكباً ، بكرة أو عشياً ، وفي أثناء حديثه مع أصحابه أو أعدائه وكانت تعتريه فجأة وتزول عنه فجأة ، وتنقضي في لحظات يسيرة ، لا بالتدريج الذي يعرض للإنسان ، وكانت تصاحبها تلك الأصوات الغريبة التي لا تسمع منه ولا من غيره عند النوم . وبالإجمال كانت ظاهرة تباين حال النائم في أوضاعها وأوقاتها وأشكالها ، وجملة مظاهرها . فهي إذن عارض غير عادي .

---

(١) الوحي الهي : الحسين عبد المجيد هاشم .

ثم لنرى المباينة التامة والمناقضة الكلية بينها وبين تلك الأعراض المرضية والنوبات العصبية التي تصفر لها الوجوه ، وتبرد الأطراف ، وتصطك الأسنان ، وتتكشف العورات ، ويحتجب نور العقل ويخيم ظلام الجهل ، بينما نرى في ظاهرة الوحي مبعث نمو في قوة البدن وإشراقة في اللون ، وارتفاعاً في درجة الحرارة ، وكانت بالإضافة إلى ذلك مبعث نور لا ظلمة ، ومصدر علم لا جهالة ، بل كان يجيء معها من العلم والنور ما تخضع العقول لحكمته ، وتتضاءل الأنوار عند طلعته . ها نحن أولاء قد كدنا أن نضع النقاط على الحروف . . . فلنقف وقفة يسيرة لنرى مبعث هذا الوحي الذي كان يبدو حينا لمحمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ويختفي أحياناً من حيث لا يد لصاحبه في ظهوره ولا في اختفائه : هل عسى أن يكون منبعثاً من طبيعة هذه النفس المحمدية ؟ اذاً لو كان مصدراً داخلياً لكان خليقاً أن ينبعث منها أبداً ، ولكان أحق أن ينبعث منها في حال اليقظة العادية والرؤية الفكرية أكثر مما ينبعث منها في تلك اللحظات اليسيرة حينما تغشيها هذه السحابة الرقيقة المفاجئةالتي تشبه السنة أو الإغماء ، ولا بد أن يكون وراء هذه المفاجأة التي تعتري محمداً عليه الصلاة والسلام مصدر نوراني يمد هذه النفس بين آن وآن ، فيسمو بها عند أفق شعورها المحدود ، ويزودها بما شاء من العلوم ، وكما آمن الناس بأن نور القمر ليس مستفاداً من ذاته ، وإنما هو مستفاد من ضياء الشمس

لأنهم يرون اختلاف نوره تابعاً لاختلاف مواقعه منها قرباً أو بعداً ، فكذلك فليؤمن الباحث عن الحقيقة بأن نور الوحي الساطع في هذه الدنيا إنما يكون شعاعاً منعكساً من ضوء تلك الحقيقة النورانية الأبدية التي يرى الناس آثارها وإن كانوا لا يرونها . نعم إنهم لم يروها بأعينهم طالعة في رابعة النهار ، ولم يسمعوا صوتاً بآذانهم جَرْساً مفهوماً وكلاماً يفقهه الناس ، ولكنهم كانوا يرون قبساً منها في الجبين ، وكانوا يسمعون حسيسها حول الوجه الكريم وإن في ذلك لهدى للمهتدين .

هي إذن قوة خارجية ، لأنها لا تصل بهذه النفس المحمدية إلا حيناً بعد حين وهي لا محالة قوة عالمة ، لأنها توحي إليه علماً . وهي قوة أعلى من قوته لأنها تحدث في نفسه وبدنه هذه الآثار العظيمة ﴿ علَّمه شديد القوى ذو مرة فاستوى ﴾ . وهي قوة خيرة معصومة لأنها لا توحي إلا الحق ولا تأمر إلا بالرشد ، فلا جرم أنها لا تكون قوة طائشة شريرة من خيال شارد . . . فأنى للوحي هذه القوة إن لم تكن قوة ملك كريم ؟ فأما الذي يؤمن بالغيب فسيؤمن بهذا الحديث عن الوحي ، وإن لم يره ، لأنه رأى أثره ، ولأنه يؤمن بمن أخبره . وأما المتكبرون الذين أوتوا قليلاً من علم ظاهر المعارف فظنوا أنهم أحاطوا بكل شيء علماً فإنهم سيكذبون بكل ما لم يحيطوا بعلمه ، وسيقولون : لعله اضطراب في أعصاب البصر خيل إليه أنه يرى شيئاً من لا شيء وقل ﴿ ما زاغ البصر

وما طغى ﴾ ولعلهم يقولون لعله اضطراب في قوى الفكر ، صور له المعاني أشباحاً ماثلة ، والأحلام حقائق مجسمة ، فيرد عليهم ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ نعم لقد عجب كفار قريش ومن بعدهم أن يكون إنسان كمحمد يرى الملائكة عياناً ويكلمهم جهاراً ، بل عجبوا أن يكون في الدنيا خلق لا يرونهم بأعينهم ، وصوت لا يسمعونه بآذانهم ، فقالوا كيف يرى محمد ما لا نرى ويسمع ما لا نسمع ولعمري لأعجب من هؤلاء أشد العجب بذاك ، لأن العصر الحديث قد فسر لعقولنا أموراً أكثر إعجاباً . . . وأقرب هذه الأشياء الهاتف (التلفون) فقد أصبح الرجلان ، يكون أحدهما في أقصى المشرق والآخر في أقصى المغرب ثم يتخاطبان ويتراءيان ، من حيث لا يرى الجالسون في مجلس التخاطب شيئاً ، ولا يسمعون إلا أزيزاً كدوي النحل الذي يشبه صفة التخاطب من نوع ـ الوحي ـ والتلفاز الذي ينقل الكلام والصورة على موجات الأثير بدون أسلاك تحمل ذلك فهذا أشبه بفكرة الوحي وبقربها للأذهان المادية التي لا تؤمن بالروح وسموها .

وأعجوبة التنويم المغناطيسي الذي يمكن الرجل القوي الإرادة على من هو أضعف منه بقوة إرادته حتى يجعله ينام نوماً عميقاً لا يشعر فيه بوخز الإبر ، وهناك يكون رهن إشارته وتنمحي إرادته فلو شاء أن يمحو من نفسه رأياً أو عقيدة لمحاها بكلمة واحدة . بل لو شاء أن يمحو من صدره اسم نفسه ويلقنه اسماً آخر يقنعه بأنه هو

اسمه لما وجد منه إلا إيماناً وتسليماً . ولأصبح اسمه الحقيقي نسياً منسياً ، ولبقي هذا الاسم الجديد منقوشاً على قلبه ولسانه حتى بعد أن يستيقظ إلى ما شاء الله ، فإذا كان هذا فعل الإنسان بالإنسان ، فما ظنك بمن هو أشد منه قوة ؟

فذلك مثل حامل الوحي ومتلقيه : هذا بشر مطواع ذو روح صافية يقبل انطباع العلوم فيه ، وذاك ملك شديد القوى ذو مرة يحمل إليه الرسالة ويلقنه إياها فلا ينسى إلا ما شاء الله .

ويقول العالم الفيزيائي الكبير ليكونت دي نوي رئيس قسم الفيزياء في معهد باستور ورئيس قسم الفلسفة في السوربون :

إن المعتقدين بعدم كفاية العقل لفهم الوحي الإلهي والملحدين ، لا يبدو عليهم القلق أمام الحقيقة بأن الكون الحي المنظم يغدو غير مفهوم دون قبول فرضية وجود الله . فهم يؤمنون ببعض العناصر الفيزيائية التي لا يعرفون عنها سوى القليل مع أنها تحتوي على جميع دلائل الإيمان غير المعقول ، ولكنهم لا يعرفون ذلك وبعضهم غدا مستعبداً لمجموعة من الكلمات الساذجة التي لا معنى لها .

وفي الحقيقة لقد أصاب في مقارنته العلمية التي بين فيها الأسباب غير العلمية التي يتبناها بعض الملحدين لرفض فكرة الوحي ، ويتصور الكثير بأنهم لا يمكن لأحد حملهم على الإيمان

بالوحي لأنهم عاجزون عن إدراكه ، ولكن أستطيع أن أقول بأن الإنسان العاقل الذي يتمتع بغريزة حب الاستطلاع العلمي لا يحتاج إلى رؤية الوحي ، مجسداً بملك إلا كما يحتاج الفيزيائي رؤية الألكترون وكل محاولة في كلتا الحالتين باطلة لا قيمة لها ، فالألكترون لا يمكن إدراكه مادياً ومع ذلك فهو معروف تماماً بآثاره أكثر من قطعة الحديد المشاهدة . وكذلك الوحي يعرف بآثاره الحضارية والفكرية والاجتماعية .

ما هو دور الموحى إليه :

لم تكن مهمة الأنبياء الموحى إليهم تبليغ شرائع الله فحسب بل كانت مهمتهم بالإضافة إلى ذلك أن يكونوا أمثلة عملية مجسدة للشرائع ، وأن يكونوا قدوة للناس في حشد القوى الإنسانية لإقامة الحق ولذا جعل الله الرسل والأنبياء بشراً لا ملائكة فيهم من الغرائز والمواهب ما في سائر الناس ولكنهم كانوا حكماء في استخدامها ، فلم يقتلوا غرائزهم ولم يميتوها بل نظموها وضبطوا مسيرتها في سير حثيث نحو الكمال الروحي والجسدي ، ومن هؤلاء الأنبياء محمد بن عبد الله الشخصية التاريخية الوحيدة التي وضحت كل معالمها ، والتي سجل معاصروها كل أقوالها وأفعالها ، فهو الموحى إليه ، والوحيد الذي يمكن أن يكون الشخصية الكاملة بكل يقين لأن سيرته واضحة المعالم منذ يفاعته حتى وقفت نبضة الحياة في جسده .

وفي تتمة البحث سنعثر على المناقشة لصحة الوحي بالنسبة لمحمد ﷺ وصدق مشاركة القوى الخفية في إيجاد معجزة محمد العقلية . . . لأنه كان لكل موحى إليه معجزة حسية تلائم العصر والنضج الفكري لتلك الأمة التي يبعث لها ذلك الرسول . . . ولربما كان في تلك المعجزات إكراه حسي للإيمان فأما في معجزة محمد عليه الصلاة والسلام فلانعثر على هذا وإنما نقاش عقلي ومعجزة فكرية هي معجزته الكبرى التي تحدى بها العرب وكل أعداء عقيدته .

ولا بد من الإشارة في خاتمة بحث دور الوحي من القول بأن الوحي كان سبيلاً للتشريع يضمن للجماعة النظام الأمثل وتكوين الأمة بعناصر تميزها بخصائص حضارية ، ومبادىء إنسانية ، يشهد لها التاريخ ، وتبقى أمثولة خالدة وعلى سبيل المثال الأمة العربية وحاضرها وماضيها ومستقبلها . . .

فعندما تركت الوحي وما أوحي فيه خلدت إلى ما كانت عليه في ماضيها من تمزق واستغلال وضعف وأنانية وعندما عاشت مستضيئة بظلال الوحي رفعت لها في الحق رايات ، وبنت حضارتها متربعة في مشارق الأرض ومغاربها ، وكبدت الباطل وأعوانه العار ، وحمت الحق وأهله وألبستهم لباس الأمن والطمأنينة والعدالة والسعادة .

وحي « محمد » ﷺ والأنبياء :

إن الوحي لم يكن شيئاً جديداً على محمد عليه الصلاة والسلام بل كان قديماً قدم الرسل والأنبياء ولذا يقول ر.ف. بولي في كتابه (الرسول) يخص المعارضين لنبوة محمد من المسيحين واليهود ويتعجب منهم ، لعدم إيمانهم بالوحي المنزل على محمد على الرغم من تصديقهم للوحي المنزل على موسى وعيسى . . . فيقول :

« فعلى الساخرين من محمد في غار حراء أن يسخروا من موسى أيضاً وهو على طور سيناء ، ومن عيسى على تلال الجليل . . .

ولقد قصوا نبأ تلك الأشياء في بساطة وحسن نية ، وإن هذا لينطبق على محمد بن عبد الله والملك جبريل » .

وهذا منطق سديد ، وموازنة علمية دقيقة ، وقانون عام ينطبق على كل رسول ، فلمَ نفرق . . . ؟؟

ويمكننا القول بأن فكرة الوحي قد ولدت مع ولادة الرسالة الأولى ثم بدأت الرسالات تواكب بعضها بعضاً وكل رسالة تؤيد سابقتها وتؤمن بها وتنفي الزيغ الذي دخل بمرور الزمن من قبل البشر لتعود العقيدة لصفائها وجوهرها الناصع . ونجد أن اليهودية كانت المنطلق الأول لفكرة الرسالة الإلهية بشريعة وكتاب ثم جاءت

النصرانية رديفاً ومتمماً ومصححاً للأوضاع التي آلت إليها البشرية من جراء البعد بين حقيقة اليهودية في أصالتها واليهودية في واقعها . . .

ثم جاء الإسلام يدعو للإيمان بالأنبياء ويصحح أخطاء أتباعهم ويعود بالعقيدة إلى صفائها دون شوائب فصدع بالتوحيد وأكد عليه ونظم الشريعة الكاملة للإنسان بعد نضجه ووصوله إلى مرحلة الرشد العقلي . . . فهل يعقل بعد ذلك من تواكب الكذب من أشخاص متعددين ، لا صلة بينهم على مرور الزمن ، بل كل يبشر بالآخر ويدعو له ، وأما الذين استمروا على عقيدتهم ولم يرضوا بمن جاء بعد نبيهم فهؤلاء المتعصبون الذين يقولون ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ اقتداء بلا فكر وسير بلا بحث ولا تمحيص .

ماذا يزيد الوحي على العقل ؟

إن الإنسان يملك عقلاً مدركاً للكثير من حقائق الوجود ، ولو بلغ من ذروة النضج الفكري فلن يحيط بجميع المدركات الحسية والاجتماعية والاقتصادية ولذا نرى مجتمعات العالم اليوم التي ابتعدت عن الوحي الإلهي تتخبط في دياجير الضياع ، ففي كل يوم قانون ينص ، وقانون يبطل ، وحركة تقوم على أسس جديدة وأخرى تندثر ، وكلها بفعل الضعف الإنساني ، فلو سلكت الإنسانية درب الحياة المعبدة من وحي السماء لما أعوزتها كل هذه

الهموم ولوجهت طاقتها إلى علم جديد ، أو بحث مفيد ، ونرى أن العمل الذي هو نتاج قد سخر لهدم كيان البشرية ، ولتقويضها بدلاً من إصلاحها وسعادتها ولذا قال ليكونت دي نوي أستاذ الفلسفة في السوربون : (فالذكاء وحدة غالباً ما يؤدي إلى آراء هدامة أو إلى مناقشات عقيمة معقدة متشابكة إذا كان مجرداً عن المبادىء الخلقية) وهذا ما نشاهده في تزايد الصراع العالمي البعيد عن المثل العليا فما هو الإنتاج ؟

إنه مفكر يبحث ، أو فيلسوف يبدع ، ولا جرم أن الوحي هو رديف للعقل يضبط له طريقة حياته في هذه الأرض ، ويصحح له أخطاءه ، وينقذه من هفواته ، فالإنسان الذي يطلب السعادة في الدنيا بعقل مجرد غير محاط بهالة الوحي وقدسيته فهو كالمجنون يجري وراء ظله ليمسكه فلا يدرك شيئاً غير معرفته أنه كان في عمل باطل وسعي ضائع .

وما الأنبياء الموحى إليهم إلا أمثلة للكمال الإنساني في هذه الخليقة تنصبهم يد الله على طريق الحياة لتنتهي فيهم عصور وتبدئ بهم عصور وليسددوا خطا العقل في تاريخه الطويل .

وفي نهاية المطاف لنقرأ ما قاله القرآن على لسان المنكرين للوحي :

﴿ أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس

وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين ﴾ .

ولكن القرآن يردّ على هؤلاء المتخرصين الذين أبوا أن يدلوا بحجتهم ، وإنما أطلقوا محض الشك ، فوصف لهم حياة محمد قبل أن يهبط عليه الوحي وبين أنه لم يكن يعلم عن الوحي شيئاً ولم يقص عليهم طوال حياته ما يدل على شروع ولو نفسي لهذا الادعاء الذين يظنوه ، بل كان في حيرة من قومه ، يعيش بعيداً عن تقاليدهم وعاداتهم وعباداتهم ، ولم تظهر في فترة من فترات حياته أية فكرة عن الوحي أو ما يدل على ما سيؤول إليه في مستقبل حياته ولذا جاء في القرآن :

﴿ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به ، فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون . فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون[1] ﴾ .

وهل يعقل من إنسان يريد أن يأتي بشيء جديد لم تظهر بوادره على نفسه ؟ وكما قال الشاعر :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم

---

(١) يونس ١٦ ـ ١٧ .

والغاية الكبرى من هذا الوحي : تظهر في هذه الآية القائلة : ﴿ إنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ﴾[1] .

وفي قوله : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا : ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا ﴾[2] .

وفي قوله : ﴿ وما كنت ترجو أن يلقىٰ إليك الكتاب إلا رحمة من ربك ﴾[3] .

---

(١) الشعراء ١٩٢ .
(٢) الشورى ٥٢ .
(٣) القصص ٨٦ .

obeikandl.com